الإمارة الكسادية في حضرموت

هذا الكتاب صادر عن دار الوفاق في عدن، الطبعة الأولى عام 2012م وهو عبارة عن دراسة علمية نال بها الباحث سامي ناصر مرجان ناصر، درجة الماجستير قسم التاريخ. كلية التربية . جامعة حضرموت، المكلا عام 2010م.

يتناول الباحث في هذه الدراسة من تاريخ حضرموت السياسي الحديث، الإمارة الكسادية وهي إحدى الإمارات اليافعية، حيث تعد أطول الكيانات التي حكمت منذ عام 1703م وحتى عام 1881م.

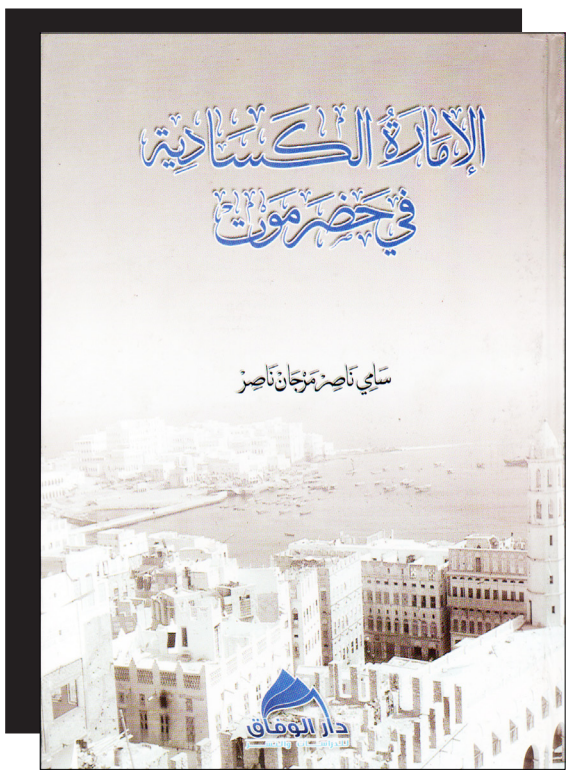

› نجمي عبد المجيد

قدم هذا البحث عدة معلومات في أكثر من جانب، وهو يعد الأوفى من حيث منهجية الدراسة التي تناولت تاريخ الإمارة الكسادية في حضرموت.

من القضايا المهمة في هذا الكتاب، الاتصال البريطاني مع الساحل الحضرمي، ثم التوسع نحو الداخل، وهو من المنظور التاريخي لا يخرج عن السياسة البريطانية التي جعلت من الجزيرة العربية مشاريع لنفوذها في تلك الحقب التي شهدت عدة صراعات دولية نحو الممرات البحرية والمراكز التجارية، ولم تغفل بريطانيا عن هذا الموقع والذي وضع دون شك ضمن الخرائط السياسية المعدة من قبل دوائر المستعمرات البريطانية المدركة لأهمية كل موقع.

في هذا الجانب يقول الباحث: (بدأ اهتمام بريطانيا بحضرموت الساحل في إطار اهتماماتها الاستعمارية بالمنطقة اليمنية منذ تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية، في عام 1009 هـ 31 ديسمبر 1600م، وحصولها على تصريح بإقامة مشروعات تجارية في البلدان الواقعة على الطريق إلى أماكن امتيازاتها في الشرق.

ولكن الاهتمام البريطاني كان مركزاً على ميناء عدن والمخاء بحكم رواج الحركة التجارية فيهما، أما البدايات الأولى للتطلعات البريطانية في حضرموت الساحل فقد تزامنت مع تفكير السلطات البريطانية في الهند في إنشاء محطة لتزويد السفن البريطانية التجارية بالفحم، وخاصة بعد التطور الكبير في صناعة السفن التجارية، حيث اتجهت الأنظار البريطانية نحو ميناء المكلا لوفرة الأيدي العاملة نسبياً فيه، ولأنه أقرب إلى بومباي من عدن بمسافة (250) ميلاً، فأنشأت فيه مستودعا للفحم، حيث غدا ميناء المكلا في حضرموت حينذاك الميناء الأفضل لتحقيق الأهداف البريطانية في جنوب شبه الجزيرة العربية.

وفي عام 1250هـ - 1834م أرسلت بريطانيا الكابتن استافورد بيتز ويرث هينس للقيام بعملية مسح جغرافي شامل للساحل الجنوبي للجزيرة العربية، حيث وقع اختيار هينس على ميناء المكلا، خاصة وأن ميناء المكلا قد استخدم كمحطة لتموين البواخر البريطانية بالفحم، غير أن بريطانيا صرفت نظرها فيما بعد عن هذا الميناء، بسبب بعده نسبياً عن الطريق البحري التجاري المباشر إلى الهند.

بعد ذلك قامت بريطانيا باحتلال جزيرة سقطرى بعد فشل محاولة شرائها من زعمائها المهرة، ولكنها اضطرت إلى الجلاء عنها عام 1251هـ - 1835م، لانتشار وباء الكوليرا وسوء الأحوال المناخية فيها، ثم أخذت في البحث عن مكان آخر مناسب لذلك الغرض.

وفي عام 1255هـ - 19 يناير 1839م احتلت بريطانيا مدينة عدن، لاستخدامها محطة لتزويد السفن البريطانية بالفحم والمؤن في رحلاتها بين بومباي والسويس، ومنذ ذلك التاريخ زاد الاهتمام البريطاني بمنطقة حضرموت في إطار الاهتمام البريطاني المتزايد بالبلاد العربية في ظل طموحات محمد علي باشا التوسعية في شبه الجزيرة العربية، مهدداً بذلك المصالح البريطانية في الشرق، لاسيما وأن بعضاً من أعيان حضرموت كانوا قد طالبوا محمد علي باشا بإرسال موظفين وجنود لتنظيم أحوالها وإعادة الأمن والاستقرار إليها، حيث قام بتجنيد عدد من أبناء حضرموت وعين ابن قرموص والياً عليها، إلا أن كل هذه الإجراءات لم تحقق شيئاً على الأرض وبعد وصول قوات محمد علي باشا إلى الخليج واستيلائها على مدينة تعز اليمنية عام 1253هـ - 1837م واقترابها من مدينة عدن سارعت بريطانيا إلى احتلال عدن 1255هـ - 1839م، ثم اجبرت محمد علي باشا على الرحيل من شبه الجزيرة العربية بموجب قرارات مؤتمر لندن لعام 1256هـ - 1840م.

ظلت السلطات البريطانية تراقب عن كثب ما يجرى في حضرموت من دون أن تتدخل في الصراعات الدائرة فيها طالما أنها لا تشكل خطرا على المصالح البريطانية في المنطقة، وعندما نشب خلاف في عام 1258هـ - 1842م داخل الأسرة الكسادية بعد وفاة النقيب عبدالرب وتولية ابن أخيه محمد بن عبدالحبيب الذي انتزع الحكم عنوة من ابن عمه صلاح عبدالرب لجأ أبناء النقيب عبدالرب إلى حاكم عدن الكابتن هينس لمساعدتهم في استعادة السلطة مقابل وضع إمارته تحت الحماية البريطانية، ولكن الكابتن هينس أحال الطلب إلى الحكومة البريطانية في الهند التي قررت عدم التدخل في شؤون تلك المناطق، لانشغالها بتثبيت أقدامها في مدينة عدن من ناحية، ولأن ذلك سيكلفها الكثير من المال والرجال ويغرس الأحقاد في النفوس.

وبعد المحاولة الكثيرية العثمانية الفاشلة للسيطرة على مدينة المكلا في عام 1266هـ 1849م حاول النقيب محمد بن عبدالحبيب الكسادي وضع بلاده تحت الحماية البريطانية خوفاً عليها من العثمانيين المتحالفين مع آل كثير، وكان ذلك في عام 1268هـ - يناير 1851م، ولكن بريطانيا رفضت ذلك الطلب خوفاً من أن يتسبب توغلها في تلك المناطق في إثارة المشاكل مع قبائلها، فضلاً عن بعد موقع مدينة المكلا من خطوط التجارة البريطانية، ناهيك عن أن الاهتمام البريطاني كان في تلك الفترة منصباً على مدينة عدن وتأمين الوجود البريطاني فيها.

وفي عام 1271هـ - 1854م تحطمت السفينة البريطانية جورج أندرسون في ساحل الشحر فقدم الأمير علي بن ناجي بن بريك المساعدة لطاقمها، وقد ولد هذا الموقف انطباعاً ودياً عند المسؤولين البريطانيين في الهند، كما أشاد حاكم عدن البريطاني البريجادير وليم ماركوس كوجلان بالموقف الودي لحكام الشحر والمكلا في تلك العملية، وعندما فكر المسؤولون البريطانيون بعدن في إنشاء خط للبرق في عام 1275هـ - 1858م تراهم لهذا السبب يقترحون مروره بساحل مدينتي المكلا والشحر غير أن الحكومة البريطانية اختارت لهذا الغرض طريق البحر الأحمر).

مما يوضحه الباحث سامي ناصر مرجان ناصر، أن التدخل البريطاني في شؤون حضرموت والإمارة الكسادية كان تدريجياً، وهو تحت ستار محاربة تجارة الرقيق في المحيط الهندي والبحرين والبحر الأحمر والخليج العربي.

واصدر البرلمان البريطاني في عام 1807م قانوناً يمنع السفن البريطانية من نقل الرقيق، وفي عام 1811م اصدر قانوناً آخر يحرم تجارة الرقيق، وكان الهدف من إصدار هذه القوانين هو الحفاظ على مصالح بريطانيا الاقتصادية.

في عام 1855م قام المقيم السياسي البريطاني بعدن وليم كوجلان بزيارة للمكلا والشحر، وقد لاحظ مدى توسع تجارة الرقيق فيهما، حيث كانت السوق الأوسع في المكلا لتجميع العبيد من الساحل الشرقي لأفريقيا وزنجبار وموانئ الصومال ومنها تكون عملية النقل إلى اليمن وحضرموت والحجاز والخليج العربي.

وفي 23 نوفمبر 1863م أرسلت بريطانيا المقيم السياسي كوجلات مرة أخرى إلى المكلا، غير أن النقيب الكسادي تخوف من هذه الزيارة، ولكن عمل كوجلان على طمأنة النقيب الكسادي، لأن الغرض منها هو عقد معاهدة لمنع تجارة الرقيق في الساحل الحضرمي، وقد نجح كوجلان في إبرام معاهدتين لمنع هذه التجارة، الأولى مع نقيب المكلا صلاح بن محمد الكسادي في 4 مايو 1863م، والأخرى مع أمير الشحر علي ناجي بن بريك بتاريخ يونيو 1863م.

جعل اشتداد الصراع بين حكام حضرموت، بريطانيا تراقب الأوضاع عن قرب من خلال تواجدها في عدن، وقد وجدت بريطانيا نفسها منجرة إلى هذا الصراع الذي يخلق حالات من عدم الاستقرار، ففي شهر يناير 1867م طالب رئيس وزراء حيدر أباد في الهند من حكومة بومباي تقديم عدة مساعدات للجمعدار القعيطي في نقل السلاح والجنود إلى حضرموت، وذلك دفع بالسلطان الكثيري إلى طلب دعم الدولة العثمانية، وطلبت من القعيطي التخلي عن ميناء الشحر، وعقد هدنة مع الكثيري، ولكن السلطات البريطانية تدخلت في هذا الأمر وتوصلت إلى اتفاق مع الدولة العثمانية على عدم التدخل في صراعات حضرموت.

عندما اشتد الصراع بين الكسادي والقعيطي في يناير 1873م طلب النقيب عمر الكسادي من حاكم عدن البريطاني جوهان شنيدر، المساعدة البريطانية ودعمه في نزاعه مع القعيطي.

وفي عام 1874م وفي إطار أهداف القعيطي للاستيلاء على المكلا سعى لتكوين أسطول بحري من أجل هذا الغرض، فقد اشترى من الهند سفينة اسمها البهلوان حيث زودت بالمدافع والذخيرة، وقد أرسلت إلى حضرموت في شهر فبراير 1874م وهي ترفع العلم البريطاني، وهذا العمل وضح مدى تأييد بريطانيا لمشروع القعيطي في حضرموت.

وقد ساعد هذا الفعل على فرض حصار بحري على ميناء المكلا، كما سيطرت سفن القعيطي على بعض السفن التابعة للجالية الهندية في الميناء وعملت على مصادرة كل ما فيها من حمولات وكان ذلك في عام 1875م.

عام 1876 قررت حكومة عدن البريطانية التدخل لحل هذه النزاعات، لأنها لم تعد محصورة في الجوانب البحرية بل أخذت تتوسع في عدن تفكر في الاستفادة من هذه الأزمات المساعدة على تحقيق مصالحها، وبالذات بعد أن أظهرت الأحداث تفوق القعيطي بشكل كبير في هذه المواجهات، وهذا ما دفع ببريطانيا إلى إصدار تعليماتها إلى المقيم السياسي في عدن للإسراع لتسوية هذا النزاع، وعلى ضوء هذا التحرك أرسل المقيم السياسي في عدن بشهر سبتمبر 1876م المترجم صالح جعفر إلى المكلا والشحر لمعرفة الأوضاع وعقد هدنة.

وفي نفس العام أعلنت حكومة الهند البريطانية مقدرتها على التدخل للوساطة لحل النزاع في حالة قبول الطرفين وقف الخصومات، حيث قام المقيم السياسي البريطاني شنيدر بزيارة للمكلا والشحر وعقد في تلك الزيارة هدنة بينهما.

عام 1877م طالب القعيطي بالديس الشرقية وشرمة بحجة أنها تابعة له حسب ما جاء في الاتفاقية الموقعة بينه وبين النقيب صلاح بن محمد الكسادي عام 1865م، ولكن قام باحتلالها بالقوة عام 1878م.

في مايو 1879م سافر المقيم السياسي البريطاني بعدن الجنرال لوك إلى المكلا والشحر ونجح خلالها في عقد هدنة جديدة بين الجانبين لمدة عام، كما عمل على إقناع النقيب الكسادي بالموافقة مبدئياً على مشروع اتفاقية احتوت على الشروط التالية:

1. أن يفتح كل طرف ميناءه للطرف الآخر ويقدم التسهيلات للتبادل التجاري.
2. أن يتنازل كل طرف عن مطالبه في التعويض من الطرف الآخر.
3. أن لا يقدم أي طرف المساعدة لأعداء الطرف الآخر.
4. أن يتم جمع إيرادات ميناء المكلا عبر مسؤولين يعينهم النقيب الكسادي، شريطة موافقة حاكم عدن عليهم مع احتفاظ حاكم عدن بالجزء الذي سيدفع للشحر أي للقعيطي، وقد تلكأ الجمعدار القعيطي في الموافقة على مشروع الاتفاقية.

غير أن فرصة تحقيق السلام بينهما كانت ضعيفة إلى أبعد حد، لأن النقيب الكسادي رفض التخلي عن نصف المكلا وبروم، ومقابل ذلك أصر الجمعدار القعيطي على المناصفة التي جاءت في الاتفاقية.

وهذا الموقف جعل حاكم عدن البريطاني يطرح على حكومة الهند البريطانية مقترحا، بترك طرفي النزاع يتحاربان مع بعضهما دون تقديم العون لأي طرف، وبعد دمار كل منهما يأتي تدخل حاكم عدن البريطاني.

أما الحكومة البريطانية فقد أشارت بأنها سوف تعمل على النظر في هذا النزاع في حالة عدم قبول الطرفين بالتسوية، وسوف تعترف بالطرف الذي ينتصر في هذا الخلاف، غير أنها لن تقبل بقيام عمليات حربية في البحر، وفي نفس الوقت تمتلك الحق في التدخل عند الضرورة إذا رأت في هذا العمل ما يخدم مصالحها.

لقد قدم لنا الباحث العديد من المعارف الهامة حول تلك الحقبة، ومما يعزز منزلة الكتاب حول هذا التاريخ الذي يقدم لنا ما كانت عليه الأوضاع في دولة حضرموت، وفصول التاريخ ليست هي قراءة الماضي، بل استعادة المعلومات على ضوء ما يجري في الراهن.

سطور

الثقافة أساس الدولة المدنية !..

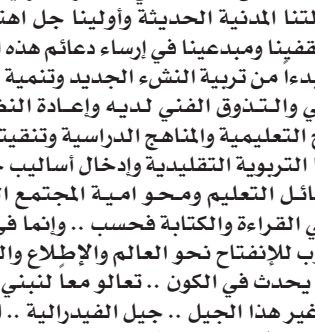

› جمال كرمدي

لقد تحدثنا كثيراً عن أهمية دور الثقافة في مجتمعنا اليمني، وأشرنا في مقالاتنا الصحفية ولقاءاتنا الإذاعية والتلفزيونية ومحاضراتنا مع تلامذتنا الى أن الثقافة تلعب دوراً حيوياً وهاماً في حياة الشعوب التواقة نحو التقدم والإزدهار الحضاري .. فالمجتمعات الراقية والبلدان المتقدمة هي نتاج الثقافة .. وكذلك العكس .. وللأسف مجتمعنا اليمني يعد من بلدان العالم الثالث الأكثر تخلفاً بسبب ماتعانيه من عسكرة السلطة وعقليتها القبلية المتزمتة والمتنفذة بأساليبها البدائية الرافضة كل أشكال التمدن والتحضر والمثاقفة والانفتاح الفكري بشكل عام الامر الذي نجم عنه مردودات وخيمة عكست نفسها سلباً على واقع مجتمعنا اليمني ..! وبقائه في (محلك سر) لعقود من الزمن.

اليوم بالذات نحاول ان نطوي صفحات تلك العقود المظلمة ومعها تلك القوى الظلامية، نحو غد مشرق بالأمل والتفاؤل من خلال دولتنا المدنية الحديثة القادمة بإذن الله .. ومعنا قوى الخير من اشقائنا في دول الجوار وبجانبنا ايضاً المجتمع الدولي .. لقد آن الأوان لكي تهدأ اليمن وتستقر لكي يستفيد العالم من خيراتها ومقدراتها وثرواتها ويستفيد في المقام الأول شعبنا المكابد والصبور ولن يكون ذلك الا إذا جعلنا من الثقافة هي مصدرنا الرئيسي في بناء دولتنا المدنية الحديثة وأولينا جل اهتمامنا نحو مثقفينا ومبدعينا في إرساء دعائم هذه الدولة الفنية بدءاً من تربية النشء الجديد وتنمية الحس الجمالي والتذوق الفني لديه وإعادة النظر في البرامج التعليمية والمناهج الدراسية وتنقيتها من أشكالها التربوية التقليدية وإدخال أساليب حديثة في وسائل التعليم ومحو امية المجتمع اليمني ليس في القراءة والكتابة فحسب .. وإنما في امية الحاسوب للإنفتاح نحو العالم والإطلاع والتعرف على ما يحدث في الكون .. تعالو معاً لنبني جيلاً حديثاً غير هذا الجيل .. جيل الفيدرالية .. اوجيل الجمهورية الاتحادية .. فلدينا مشروعنا الثقافي الشامل لبناء النشىء الجديد .. ولكن قبل كل شيء ومن اجل إصلاح كل شيء فإنه يتوجب على قيادتنا السياسية بزعامة فخامة الرئيس عبدربه منصور هادي رئيس جمهورية اليمن الإتحادية القادمة إن شاء الله عليه أن يختار رجالا لإدارة شؤون الدولة الإتحادية ليسوا من أصحاب السوابق واجرموا بحق الوطن والشعب والمال العام .. رجال انقياً وشرفاء وغيورين على مستوى عال من الثقافة والتأهيل العلمي .. فما احوجنا اليوم الى قيادة سياسية تمتلك وعياً ثقافياً وذوقاً فنياً يقدرون الفن والادب والمسرح بشكل خاص .. نحن بحاجة اليوم الى دولة مدنية تضع الثقافة في اول ابجديات إهتمامها وان ترصد لها ميزانية هائلة مثلها مثل وزارة الداخلية والدفاع .. لأن دور الثقافة لا يقل قدراً ولا مكانة عن دور الأمن والدفاع .. وبما أن السياسة كما هو متعارف عليه إنها (اقتصاد مكثف) فإن الثقافة (أمن مكثف) ..

فإذا كان رجل الأمن يحمي المجتمع من الجريمة .. فإن رجل الثقافة والفن والإبداع يحمي المجتمع ايضاً من أي غزو فكري متطرف من الداخل او من الخارج!.. وهنا تكمن أهمية الثقافة ودورها في التوعية الجماهيرية وتربية النشء الجديد على حب الوطن والدفاع عن مكتسباته العظيمة ...

فلا دولة مدنية بدون ثقافة وطنية حرة ...

خاطرة

صورة لامرأة ثائرة داخل برواز حائر

› دنيا هاني

تعودت أن أنكسر وأنكسِر ولا أجد من يصلح كل كسر في داخلي وبقيت آثاره معي إلى الآن.. بحثت كثيراً حتى وجدت أناساً يحبوني ولكني لم أحبهم.. وأشخاص أحببتهم وخذلوني فتخليت عنهم.

علمت ولكن بعد فوات الأوان بأني أخطأت في تحديد الزمان والمكان.. وبأني كنت أعيش أكبر كذبة عرفتها في تاريخ الإنسان.. فحياتي كانت سعيدة وأنا من أوهمت نفسي بتعاستها ورغم كل الصعوبات التي واجهتها حاولت أن اجعل لكل شيء في حياتي هدفاً ومعنى.. وأحببت أن تكون لي شخصية قوية ومستقلة بين أناس لا اهتم إن كانوا ضعفاء أم أقوياء.. حاولت تعويض الكره الذي يحيطني من أعز الناس بحب يحتويني بعديد من الناس.. فالتفت للجانب السعيد من حياتي وتجاهلت باقي الجوانب الأخرى حتى استنتجت أن شيئاً واحداً كان ينقصني وهو (حبي لذاتي).. أحب ولكن أترك مجالاً لأن أحب نفسي وأعطيها حقها فلطالما شغلتني الحياة وأهملتها لا بل تجاهلتها.. حتى أتيت أنت ودخلت حياتي.. وهنا تكمن مأساتي.. فلقد تعودت أن أكون قوية في كل شيء لا أحب ولا اكره.. صورة ثائرة في برواز حائر.. هادئة مرة ومجنونة مرات.. خجولة وجريئة بنفس الوقت.. كل هذا أنا.. ولكني عندما التقيت بك وأوهمتني بحبك.. ذهبت قاعدتي ومبدئي في الحياة أدراج الرياح .. كنت أتوهم بأني قد وجدت فيك من أنا وماذا أكون .. فأحببت نفسي فيك وأصبحت ذاتك هي ذاتي .. وكيانك هو كياني.. ومشاعري اختلطت ولم أعد قادرة على التمييز بينهما.. كنت أخاف عليك ولا أخشى على حالي.. تمنيت السعادة لك وحرمتها على نفسي.. ولكني حينها أدركت أني كنت أتوهم وانك تبادلني نفس الشعور قولاً لا فعلاً.. وأني كنت محطة عابرة بالنسبة لك تنسى فيها آلامك.. وبعدها تبحث عن كيان آخر تلملم فيه جراحك.. ولم أرض لنفسي هذا الحال ورفضته بشدة.. فأصبحت في حرب وصراع مع نفسي ومعي من حولي وحولك ومعك.. فصدمتي فيك كانت كصدمتي في الحياة والناس معاً.. فيا من كنت سراباً عابراً في برواز حياتي ومن ثم أصبح واقعاً أعيشه وصدمت فيه.. في هذه اللحظة بالذات وبعد أن لملمت شتات أفكاري أستطيع أن أقول لك شكراً على الدرس الذي تعلمته منك وأصبحت به أنثى استثنائية تعرف أن تفرق جيداً بين السراب المتناثر في الهواء الذي يبحث عن يد تلملم فيه وبين الحب والتضحية والوفاء الذي عندما نلتقي به نتمسك به.. وحتى أجد ما أبحث عنه قررت ألا أحب سوى ذاتي فقط فهي من ستبقى مع حتى الآخر ولن تخذلني.. وكما يقال: لماذا تشقى في الهوى في حب غيرك.. حب نفسك.. نفسك أولى بالمحبة..

على ضفافهم

الشاعرة العراقية د. هناء فيضي القاضي

عملت مقدمة لبرنامج الصحة للجميع في تلفزيون العراق 1993__1994

إصدارات أدبية :

- ديوان الكتروني (سيدي البعيد 1) عن دار الصداقة للنشر الالكتروني 2008
- ديوان الكتروني (سيدي البعيد2)عن دار الصداقة للنشر الالكتروني 2009
- رسائل في زمن الغربة (نصوص مشتركة مع الأديب غريب عسقلاني)
- نشر الكتروني __ عن دار الصداقة للنشر الالكتروني 2009
- ديوان ورقي (سيدي البعيد) عن دار شمس للمطبوعات - القاهرة